جمهورية مصر العربية	٨ من ربيع الثاني ١٤٣٨هـ
وزارة الأوقاف	٦ من يناير ٢٠١٧م

(١)

الرشوة وأثرها المدمر على الأفراد والدول وسبل القضاء عليها

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز :{وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، القائل في الحديث الشريف: (لَعَنَ اللهُ الرَّاشِيَ، وَالْمُرْتَشِيَ، وَالرَّائِشَ الَّذِي يَمْشِي بَيْنَهُمَا) (رواه الحاكم).

اللهم صلّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، **وبعد :**

فقد نهى الإسلام عن أكل الحرام بكل صوره وأشكاله نهيًا قاطعًا لا لبس فيه ، فقال سبحانه:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا * وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرًا}[النساء:٢٩-٣٠] ، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّبًا ، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ:{يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ}، وَقَالَ سبحانه وتعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ}، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ ، وَغُذِىَ بِالْحَرَامِ ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ).

والمتأمّل في عالم الناس اليوم يرى أنه عالمٌ تغيّرت فيه كثيرٌ من القِيَم والمفاهيم الصّحيحة ، عالمٌ سَيْطَرَت فيه المادة حتى تساهل بعض الناس في جمع الأموال، لا يهمهم أكان ذلك من حلال أو حرام ، وصدَق فيهم قول المصطفى (صلى الله عليه

وسلم) : (يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لاَ يُبَالِي الْمَرْءُ مَا أَخَذَ مِنْهُ أَمِنَ الْحَلاَلِ أَمْ مِنْ الْحَرَامِ) (رواه البخاري)، ومن ثمَّ ظهرت في المجتمعات بعض السلوكيات الخاطئة التي تؤدي إلى تدمير المجتمع ونزع الخير منه ، من هذه السلوكيات :

الرشوة ، فهي من أخطر صور المال الحرام التي حذَّر منها الإسلام ، وهي من أشدّ الأمراض الاجتماعية فتكًا بأخلاق الأمم ، كما أنها تعود عليها بالوبال والدمار في الأفراد والأسر والمجتمعات في الدنيا ، ويوم العرض على الله (عز وجل) في الآخرة ، فإذا فشت الرشوة في أمة من الأمم وتجرأ الناس على تعاطيَها فاعلم أن الضمائر قد ماتت ، وأن الإيمان قد ضعف في النفوس والقلوب.

وقد شدّد الشرع على حرمة أخذها ، أو دفعها ، أو التوسط بين الراشي والمرتشي ، فالثلاثة مطرودون من رحمة الله (عز وجل)، متعرضون لسخطه وغضبه ، فما دخلت الرشوة عملاً إلا أعاقته ، ولا مجتمعًا إلا أفسدته ، ولا بيتًا إلا خربته ، ولا جوف شخص إلا أهلكته ، فكلٌ من تعامل بها ظالم ، **المرتشي** لأخذه ما يحمله على الظلم والجور وضياع الحقوق ، أو التفريط في واجبات عمله ، والغلظة على من لا يدفع شيئًا ، **والراشي**: الدافع لها لأنه عون كبير على الظلم والفساد ، وعلى تشجيع الظالمين المفسدين ، ومفسد لقلوبهم على الآخرين ، الذين تأبى أذواقهم السليمة، وعقيدتهم الحية عن دفع الرشوة ؛ قال (صلى الله عليه وسلم) : (الرَّاشِي وَالْمُرْتَشِي فِي النَّارِ) ، **والرائش** هو الوسيط بين الراشي والمرتشي ، الساعي بينهما بالرشوة ، وهو وعيد شديد لآكل الرشوة ودافعها والساعي بينهما بأن جعلهم جميعًا متعرضين لسخط الله تعالى وغضبه ، ولم يتوقف الأمر عند مجرد النهي عنها وذمِّها ، بل تعدى ذلك ليصل إلى حد اللعن الصريح الذي يعني الطرد من رحمة الله تعالى، قال

(صلى الله عليه وسلم) : (لعنةُ اللهِ على الراشِي والمرتَشِي) ، وفي رواية : (لَعَنَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) الرَّاشِيَ وَالْمُرْتَشِيَ وَالرَّائِشَ) (رواه أحمد).

وسواء أكان اللعن من الله (عز وجل) أم من الرسول (صلى الله عليه وسلم) ففيه رسالة شديدة الوضوح لكل من شارك في إتمام الرشوة ، هذه الرسالة تلقى بظلال من الخوف والرهبة والشدة والطرد من رحمة الله (عز وجل) ، وذلك لأن الرشوة دعوة صريحة لقتل كفاءات المجتمع ، وهدم للأسس التي يقوم عليها ازدهاره وتقدمه.

إن الرشوة ليستْ جريمة شخصية ، وإنَّما هي جريمة في حق المجتمع كله ، لذا كانت محرمة بأيّ صورة كانت ، وبأي اسم سُميت ، سواء تحت مسمى هدية أم غيرها ، فالأسماء لا تغير من الحقائق شيئًا ، والعبرة بالمضامين والمعاني لا بالأسماء ولا بالمسميات ، ولم يعبر القرآن الكريم عن الرشوة بلفظها صراحة ، لكنه ذم من كانوا يتعاملون بها وسماها سحتًا فقال سبحانه : {سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ} [المائدة:٤٢]، ويقول (عز وجل):{وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ}[المائدة:٦٢-٦٣]. وقد ذكر بعض المفسرين أن المراد بالسحت : كل ما خبث كسبه وقبح مصدره ، كالتعامل بالربا وأخذ الرشوة وما إلى ذلك من وجوه الكسب الحرام.

وقد جاء النهي والتحذير من الرشوة في سنة النبي (صلى الله عليه وسلم) بأسلوب تخويفي شديد الوطأة على قلوب المؤمنين ، إما بالنهي الصريح عنها أو بلعن كل من شارك فيها من قريب أو بعيد ، فعَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ:

اسْتَعْمَلَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) رَجُلاً مِنَ الأَزْدِ يُقَالُ لَهُ ابْنُ اللُّتْبِيَّةِ عَلَى الصَّدَقَة، فلَمَّا قَدِمَ قَالَ: هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أُهْدِيَ لِي، قالَ : فَهَلاَّ جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيه ، أَوْ بَيْتِ أُمِّهِ فَيَنْظُرَ يُهْدَى لَهُ أَمْ لا ، والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْهُ شَيْئًا إِلاَّ جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى رَقَبَتِهِ إِنْ كَانَ بَعِيرًا لَهُ رُغَاء ، أَوْ بَقَرَةً لَهَا خُوَارٌ ، أَوْ شَاةً تَيْعَرُ ، ثمَّ رَفَعَ بِيَدِهِ حَتَّى رَأَيْنَا عُفْرَةَ إِبْطَيْهِ – اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ ثَلاَثًا).

ففي هذا الحديث وعيد شديد لمن يستغل نفوذه ويستبيح لنفسه أن يأخذ ما لا يحل له أخذه ، وإن ألبسه أثوابًا مستعارة كالهدية أو الإكرامية وغير ذلك ، فذلك خيانة للأمانة ، وسحت لا يبارك الله تعالى له فيه ، ولا في نفسه ، ولا في أولاده ، ولا في عائلته ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (مَنِ اسْتَعْمَلْنَاهُ عَلَى عَمَلٍ فَرَزَقْنَاهُ رِزْقًا فَمَا أَخَذَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ غُلُولٌ) (رواه أبو داود).

ومن الأساليب الملتوية للحصول على الرشوة : تعطيلُ مصالح الناس والتسويف في إنجازها إلى أن يتم أخذ الرشوة ، وفي ذلك خيانة للأمانة التي يقول الله تعالى فيها :{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ * وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ} [الأنفال: ٢٧-٢٨]. وهكذا تضيع الأمانات بسبب الرشوة ، وتتحول الأعمال الشريفة إلى أعمال فاسدة تضر بالفرد والمجتمع ، وتؤثر فيه تأثيرًا سلبيًّا ، وتنخر في جسده حتى تهدم بنيانه.

ولأجل هذا حرّم الإسلام الرشوة ، تحذيرًا للمسلمين من شرها ، وإبعادًا لهم من ضررها ، وحماية لدينهم ، ولأموالهم ، وحماية للمجتمع عمومًا. فكم من مظالم انتهكت ، وكم من دماء ضيعت ، وكم من حقوق طمست ، ما أضاعها وما طمسها إلا الراشون والمرتشون ، فويل لهم مما عملت أيديهم ، وويل لهم مما يكسبون.

وجدير بالذكر أن الرشوة لها آثار مدمرة على الأفراد والمجتمعات والدول ، فهي شؤم ووبال على صاحبها في الدنيا والآخرة ، فبسببها يصاب القلب بالقسوة ، لأنها مال حرام يُذهِب الإيمانَ شيئا فشيئًا ، ويعمي البصيرة ، ويمنع إجابة الدعاء ، وهو مال ممحوق البركة ، إن أنفقه صاحبه في برٍ لم يُؤجر ، وإن بذله في نفعٍ لم يُشكر ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) قَالَ: تُلِيَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : {يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا}[البقرة: ١٦٨]، فَقَامَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ (رضي الله عنه) فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (يَا سَعْدُ أَطِبْ مَطْعَمَكَ تَكُنْ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ الْعَبْدَ لَيَقْذِفُ اللُّقْمَةَ الْحَرَامَ فِي جَوْفِهِ مَا يُتَقَبَّلُ مِنْهُ عَمَلَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَأَيُّمَا عَبْدٍ نَبَتَ لَحْمُهُ مِنَ السُّحْتِ وَالرِّبَا فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ) (رواه الطبراني في الكبير)، وفي الحديث يقول النبي (صلى الله عليه وسلم) لكعب بن عجرة : (يَا كَعْبُ بْنَ عُجْرَةَ ، إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ النَّارُ أَوْلَى بِهِ ، يَا كَعْبُ بْنَ عُجْرَةَ : النَّاسُ غَادِيَانِ ، فَمُبْتَاعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا، وَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُوبِقُهَا) (رواه أحمد).

ومن أضرار الرشوة بالمجتمع : أنها تهدم ركيزة أساسية هي أساس الملك وبها قامت الدنيا وعليها تقوم الدول ، ألا وهى قيمة الحق والعدل، قال تعالى: {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ}[الحجر: ٨٥] ، فالرشوة حُرِّمَت لأنها من أهم العوامل التي تؤثر في مجرى العدل بين الناس وتغير موازينه ، فتحق الباطل وتبطل الحق ، وتمهد للظلم في تضييع الحقوق ، وتحرم الكفاءات .

وهى كذلك إعانة للظالم على ظلمه ، وتفويت للحق على صاحبه ، وبها يقدم السفيه الخامل ، ويبعد المجد العامل ، فهي قضية خطيرة ينبغي التصدي لها والأخذ بقوة على يد متعاطيها والمتعامل بها.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين. **إخوة الإسلام** :

لقد غزت الرشوة جميع مجالات الحياة وذلك بسبب ضعف الوازع الديني والأخلاقي ، وموت الضمائر ، فإذا ماتت الضمائر خربت الذمم ، وعمَّ الفساد ولا يبالي صاحب الضمير الميت أي شيء يأكله حلال أم حرام ، وهذا ما حذَّر منه النبي (صلى الله عليه وسلم) حيث قَالَ: (يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لاَ يُبَالِي الْمَرْءُ مَا أَخَذَ مِنْهُ أَمِنَ الْحَلاَلِ أَمْ مِنْ الْحَرَامِ) ؛ لذا وجب على كل أفراد المجتمع التصدي لهؤلاء المفسدين ، فالتصدي لهم فيه نجاة للمجتمع كله ، وإهمالهم وعدم التصدي لهم فيه الهلكة للمجتمع كله. والسكوت على الرشوة جريمة كبرى ومشاركة لفاعليها ، فينبغي علينا أن نأخذ على أيدي المرتشين ، ومعاقبتهم بالعقوبة الرادعة حتى يكونوا عبرة لغيرهم ، وفي الأثر: (إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن) .

فحري بكل إنسان أن يكون يقظ الضمير ، مراقبًا لله (عز وجل) ، وأن يؤمن بأن ما كان له سوف يأتيه ، فإن الرزق مقدر محدود ، غير أنه بالرشوة يستعجله بالحرام ، وفي الحديث : يقول النبي (صلى الله عليه وسلم) : (يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي، مَالِي ،

قَالَ: وَهَلْ لَكَ، يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟) (رواه مسلم) هذا إذا كان المال حلالاً ، فكيف إذا كان حرامًا؟.

فبالضمير الحي اليقظ ينضبط السلوك والتصرفات، فتقوى الله ومراقبته والخوف منه والاستعداد للقائه أقوى في النفس من كل شيء ، فإذا همَّت نفس الإنسان بالحرام والإفساد في الأرض تحرك ضميره فيصده عن كل ذلك ويذكره بأن هناك من لا يغفل ولا ينام ، فيدرك أن الله معه حيث كان في السفر أو الحضر ، في الخلوة أو في الجلوة ، لا يخفى عليه خافية ، ولا يغيب عنه سر ولا علانية ، وصدق الله حيث قال:{وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}[الحديد: ٤] ، ويقول سبحانه: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}[المجادلة: ٧].

ولا بد من تعاون الجميع في القضاء على الفساد ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ) (رواه مسلم)، فاليد للحاكم أو السلطان، واللسان للعلماء، والقلب لعامة الناس ، إذ ينبغي أن تكون مواجهة الفساد بقوة وبلا أدنى هوادة مواجهة عامة وشاملة لكل ألوانه ، ولا سيما الرشوة والمحسوبية ، واستغلال النفوذ ، وأن نتعاون جميعًا في القضاء على الأدواء القاتلة ، والعمل على منع الفساد قبل وقوعه بالنصح ، وعدم المشاركة فيه أو الرضا به أو السكوت عنه بأي شكل من الأشكال .

اللهم اكفنا بحلالك عن الحرام ، واغننا بفضلك عمن سواك.